الفصل الثاني عشر

المستقبل المأمول

بدأنا هذا الكتاب بالسؤال: ما مستقبل نظام التنمية العالمي؟ والجواب الجاهز لهذا السؤال يأتي سريعاً: «لا أحد يعرف»، وينشئ هذا الجواب سلسلة من التحديات، وستؤثر الأفعال وحتى قرار عدم التصرف في المستقبل بعدة أشكال، فنحن لا نعرف المستقبل ولكن يجب أن نتصرف كما لو كنا نعرف.

ولذلك فمن المنطق أن نطور تفكيرنا عن المستقبل قدر الإمكان، ولقد قمنا بذلك في هذا الكتاب بتقسيمنا السؤال السابق إلى ثلاثة أسئلة يمكن التعامل معها وهي: إلى أين تقودنا التغيرات الحالية؟ ما المستقبل الذي نريده؟ ما مقدار الدافعيةالتي نملكها لتحقيق المستقبل الذي نؤمله؟ استكشف الفصل الثاني الاتجاهات طويلة المدى ونزعتها الواضحة، واتجه الفصل الثالث إلى قيمنا وأهدافنا ومفاهيمنا الديناميكية عن المستقبل. وبحثت الفصول اللاحقة في دافعيتنا مركزة من خلالها على مواضيع معينة.

وهدف هذا الفصل هو إعادة تكامل العالم، فجميع الأنظمة العالمية الفردية التي بحثت في الفصول السابقة تتداخل بشكل قوي. ونبدأ بمراجعة التحولات الواسعة التي تصوغ العالم، والطرق التي تتفاعل بها ثم نتحول إلى الاهتمام ببعض السيناريوهات التي طورها الآخرون لنفكر في التغير العالمي بشكل موحد.

وحتى بعد القيام بكل ما ذكر إلا أننا لا نزال غير قادرين على معرفة المستقبل، وسوف نواجه معاناة الحاجة إلى التصرف في وجه الغموض. ومهمتنا الأخيرة والمستمرة هي وضع فهمنا المنقح للاتجاهات والقيم ونقاط الدافعية في مسار عملي، وذلك بالضغط على أنفسنا لاتخاذ قرارات.

التحولات العالمية المعاصرة

يقال أحياناً: إن الوضع المعاصر فيه الكثير من الشبه بالمرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ونظام العالم ـ من السهل ادعاء ذلك ـ بعد الحرب الباردة يمر بأعظم وأسرع تغير في تاريخه منذ أواخر أربعينيات وأوائل خمسينيات القرن الماضي.

ومثل هذا النقاش قاصر النظرة بالتأكيد، وربما الأدق هو القول: إن التنظيم العالمي يمر الآن بتحولات مشابهة لتلك التي اتسمت بها الثورة الصناعية، منطلقة من إنجلترا في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر لتشمل كل العالم. وأكثر من ذلك أن بعضهم يرى أننا ندخل إلى مرحلة من التحول الدراماتيكي المماثل لانهيار النظام الإقطاعي وظهور نظام الدولة في أوروربا في القرن السابع عشر ومن ثم عالمياً. وبعضهم يأخذ خطوة أكبر ويشير إلى أن الثورات التي تجتاح الإنسانية الآن تقارن بحركة الإنسان قبل عشرة آلاف سنة وتحولنا من مجموعات صغيرة إلى أناس منشغلين في زراعة منتظمة.

قد تنظر كل حقبة إلى زمنها على أنه فريد من نوعه، ومن ثم قد تبالغ في مكانته بالتاريخ. ولنلق نظرة سريعة على بعض العناصر المحددة لمراحلنا المعاصرة المتحولة.

يمر العالم الآن بتغير في أعلى منتصف منحني S ووصف الجزء الأسفل بجدارة بالانفجار السكاني< وبشكل أدق، فإنه حمل سلسلة من الانفجارات: أولاً في الدول المتطورة في المئتي سنة السابقة وفي النصف الأخير من القرن الماضي وإلى الدول النامية والتي ما زالت الصدمات بها تهز النظام إلا أن انخفاض الخصوبة العالمية كسب الآن زخماً عالياً ويتجه معظم العالم الآن إلى مرحلة جديدة بها القضايا المرتبطة بالسكان الهرمين تدعم تدريجياً وقد تحل بشكل كبير محل تلك المرتبطة بكبار السن. وبعض الدول السيئة الحظ ستهرم قبل أن تغتني.

والعولمة هي اتجاه مكثف لتغير تقني، واقتصادي واجتماعي - سياسي يصوغ العالم منذ أيام الاستكشافات الأوربية وبناء الإمبراطورية الاستعمارية ويمكن بالطبع تتبعه إلى أيام ماركو بولو وجنكيز خان. إلا أنه من الصعب تصديق أن معدل النمو

الاقتصـادي العالمي غير المسبوق تاريخياً للقرن العشرين وللتوسع الديناميكي للسيولة الماليـة العالميـة في الربع الأخير من ذلـك القرن، وتكاثر الروابـط المبنية على الشبكة العالميـة في العصـر الحديث لم تضع أي تسريع مهم على تلك العملية. وأكثر من ذلك، إن الظهور الأولي للطبقة الوسطى العالمية، والمدفوعة في جزء كبير منها بالنمو السريع في الصـين وحديثاً الهند قد يكون علاقـة لتحول البنى الاجتماعية ـ السياسية العالمية والتي ستتحدى في الأهمية بروز أوروبا العالمية في مدة الاكتشافات السابقة.

كمـا اتسـم القرنان الماضيان بالتحـولات في نظام الطاقة العالمـي، فمن الاعتماد تقريبـاً على الحيوانات والأخشاب إلى التحـول إلى نظام يدفع بالفحم ثم من الفحم إلى اعتمـاد كامل على البترول والغاز، وسوف يشهد هذا القرن دون شك تحولاً مهماً آخـر وحتى إذا كان من الصعب القـول بتفاصيل هذا النظام القادم إلا أنه من المؤكد سيكون متصفاً باستقرار كبير.

وكثـيراً مـا أفسـد الناس في الزمـن الماضـي بيئتهـم المحلية محدثين ضـرراً في أنظمتهم الاجتماعيـة ومنشئين نماذج من سوء التغذية والحروب، والشيء المذهل في المـدة الحالية هو التغير العالمي الذي أحدثناه في البيئـة، والصيد الجائر للسمك من المحيطات التي بدت كأن لا نهاية لها، وقطع وحرق الغابات الممطرة، وتفريغ الطبقات الصخرية المائية لعقود من الزمن فقط والتي امتلأت عبر ألفي عام مهيئين الظروف لطبقـات متعددة من سطح التربة لتذهـب أدراج الريح، والتقدم بثبات إلى مضاعفة ثاني أكسيد الكربون الجوي بمعية ارتفاع في درجات الحرارة العالمية.

وهنـاك العديد من التغـيرات المدهشة التي حدثت في الأنظمـة المذكورة سابقاً، تحـول البشريـة، والذي ربما يحصـل في هذا العقد، من القالـب الريفي بشكل رئيس إلى السكـن المـدني، وانتقال سكان العالم مـن ظروف الجهل بالقـراءة والكتابة إلى عـالم معرفي في القرن الأخير واحتمال كبير بجعل هـذه المعرفة كونية في هذا القرن، والانتشـار المستمـر للديموقراطية في العـالم وارتفاع معـدلات الامتصاص الحراري إلى المستـوى الـذي جعل بعض الدول النامية تبدأ برؤية تحـدي البدانة لسوء التغذية كمشكلـة. واحتمال تحول الصين إلى دولة من أعظم الولايات المتحدة في عدة جوانب

في أواسط القرن، وفقدان آلاف اللغات العالمية والثقافات التي تحملها هذه اللغات وأيضاً ازدياد رفض الثقافات الأخرى لتهديد العولمة تهدد بزيادة قدرة المجموعات الصغيرة وحتى الأفراد على تحريك قوة مدمرة آلاف وملايين البشر الآخرين.

وباختصار قد تشير التحولات العالمية في الحياة البشرية في العصور الماضية القريبة بالمقارنة مع تلك التي تواجه البشر اليوم إلى الحاجة إلى مشهد تاريخي ولكن المشهد التاريخي في المقابل يدعم في الحقيقة وجهة النظر هذه.

سيناريوهات دولية مدمجة

قد يتوقع الشخص بعد الاطلاع على التحولات العالمية الرئيسة التي ذكرناها وبعد النظر إلى التفاعل الواضح للجميع بينها أن عدداً كبيراً من الباحثين والمنظمات السياسة ستكرس اهتمامها لدراستها وتوقع نتائجها بشكل مدمج أو موحد، والمدهش أن هناك قلة نسبياً ممن حاول تحمل مسؤولية التوقع العالمي عبر نطاق مواضيع متعددة.

وتقوم الأمم المتحدة أحياناً بوضع تحليل يتناول أوجه متعددة لقضية ما، ويكون ذلك تحت عنوان «الاتجاهات الحرجة». وأصدرت وزارة الاقتصاد والخدمة والاجتماعية Global Challenge, Global Opportunity: Critical Trends in Sustainable Development لدعم قمة جوهانسبرغ عام 2002. وتتأرجح عادة الخطوط المفيدة لأطراف القضية المختلفة دون أن تكون متحدة بمعنى أن تفسر كيف تتفاعل أطراف القضية وتنشأ إجمالي المستقبل العالمي.

تميل معظم التوقعات المدمجة إلى أن تنتج جهداً لاستشراف المستقبل يمتد إلى البيئة وإلى النظام الاجتماعي السياسي أو كليهما. ولأن التوقع في أي من هذين الموضوعين يتطلب اهتماماً بالمحركات التقنية والسكانية والاقتصادية (وإلى نظامي الطاقة والزراعة على الأقل للتوقع البيئي) فإن هؤلاء الذين يمتد اهتمامهم إلى البيئة أو إلى النظام الاجتماعي ــ السياسي يوفرون بشكل خاص صوراً ذات نطاق واسع ومندمج للمستقبل[1]. ويسمح عادة مثل تعقيد هذا التوقع المدمج لجميع

الجهود بإنشاء سيناريوهات متعددة لتحديد تلك الاحتمالات. وتنظر معظم الجهود إلى المحاكاة الحاسوبية، وليس إلى شراء السيناريوهات، والذي يجب أن يحوي مادة أساسية نوعية ولكن إلى تمويل لبعض الأساس النوعي والاستمرارية عبر النطاق الواسع الجوانب لجوانب القضية [2].

وفي الميدان البيئي فإن تقارير IPCC أمثلة جيدة للتحليل المدمج[3]، عملت IPCC على مدخلات من أعمال مئات العلماء واستخدمت سيناريوهات لتصيغ تقاريرها، واستخدمت أنواعاً من أدوات المحاكاة لدعم التحليل، والعائلات الأربع للسيناريو للتقييم الثالث لـ IPCC والذي تنوي IPCC أن تستخدمها في تقريرها الرابع هي:

- أ.1 النمو الاقتصادي السريع، انخفاض عدد سكان العالم بعد منتصف القرن، التغير التقني السريع، التقارب بين الأقاليم، القدرة الثنائية وزيادة التفاعل الثقافي والاجتماعي، انخفاض الفروق الإقليمية لدخل الفرد. ويوجد في عائلة أ.1 ثلاث مجموعات تمثل تقنيات طاقة مختلفة (وقود حجري مكثف، وقود غير حجري متوازن وسبق أن سيطر وقود غير حجري).

- أ.2. عالم مختلف الخواص جداً، اعتماد ذاتي ومحافظة على الهوية المحلية، زيادة مستمرة في سكان العالم وتنيمة اقتصادية، وتشتت في دخل الفرد.

- ب.1. عالم متقارب مع انخفاض في سكان العالم بعد منتصف القرن، تغيرات سريعة في الخدمات واقتصاد المعلومات، انخفاض في كثافة المادة وإنتاج تقنيات نظيفة وكافية المصادر، حلول عالمية للاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بما في ذلك تطوير المساواة.

- ب.2. حلول محلية للاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، زيادة مستمرة في سكان العالم (أقل من أ.2)، مستويات متوسطة للتنمية الاقتصادية، تغير تقني أقل سرعة وأكثر تنوعاً من الموجودة في أ.1 وب.1.

لاحظ كيف أن كل عائلات السيناريو الموضحة تلامس العديد من عوامل التحولات العالمية المرسومة سابقاً وتمزجها في كتابها مجملةً مختلفة. وبعدا

المنظمة المركزيان في السيناريوهات المفصلة هما: 1) العولمة في مقابل التركيز البيئي. 2)التركيز الاقتصادي في مقابل التركيز البيئي.

ومماثل لذلك، مجموعة السيناريو العالمية (GSG)[4]. الذي دعا له معهد أستوكهولم للبيئة في عام 1995 ويناقش مواهب العديدين في إنشاء سيناريوهاتهم والتي تدخل في عمق الميدان البيئي والاجتماعي والسياسي. انظر على سبيل المثال، :Great Transition (The Promise and Lure of the Times Ahead (Ruskin, et al., 2002). وباختصار، فإن سيناريوهات GSG التي فصلها (Hammond 1998) أيضاً هي:

- سوق العالم: اختراعات تقنية سريعة، إصلاح ونمو اقتصادي، أسواق عالمية مندمجة، انتشار النجاح والسلام والاستقرار ولكن أيضاً انتشار عدم المساواة ونمو المشكلات البيئية.

- عالم محصن، فشل نمو الأسواق في مواجهة الأخطاء الاجتماعية والكوارث البيئية، والتقهقر إلى الوراء إلى داخل الدول والمناطق، واتساع الظلم، والصراع والاضطراب.

- عالم متحول، تتقاسم الدول القوة بشكل أوسع، ومستوى التعاون الاجتماعي يبدأ من القاعدة وعلى الرغم من أهمية الأسواق إلا أنها لا تحل محل الخيارات الاجتماعية المقصودة التغير الجوهري للأفضل في السياسة، والمؤسسات الاجتماعية، والبيئة.

استخدم تحليل بنموذج polestar من المؤسسة البيئية في أستوكهولم مع نموذج IMAGE من المؤسسة الهولندية للصحة والبيئة (RIVM)، ونماذج أخرى لدعم المشهد البيئي العالمي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (انظر UNEP، GEO-3، 2002)، لإيجاد نوع من الدمج للقضايا المتعددة لذلك التحليل، وبني تحليل GEO-3 على السيناريوهات المتفاوتة لـ GEO المذكورة في الأعلى:

- الأسواق أولاً، وضعت الثقة في العولمة وعمليات الليبرالية الاقتصادية، الحكومات غير قادرة على التعامل مع القضايا الاجتماعية والبيئة.

- الأمـن أولاً، تؤدي الاختلافات الكبيرة بين الـدول والضغوط البيئية إلى ظهور الصراع ويفصل الأغنياء والأقوياء أنفسهم عن المجتمع الواسع.
- السياسـة أولاً، تأخـذ الحكومـات مبـادرات مصممـة تجـاه الأهـداف البيئيـة والاجتماعية، ولكن الخطوات ليست دقيقة بما فيه الكفاية في مواجهة المشكلات.
- الاستقـرار أولاً، يظهرنموذج جديد. وتدعم القيم الجديدة والمؤسسات التغير في السلوك والسياسات تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية.

تبنـي عمليات GEO-4 التابعة لـ UNEP على السيناريوهـات الأربع التي ذكرت سابقاً، وساعد نموذج المستقبل العالمي (IFs) على توفير محركات وبنية لهم.

وأيضـاً أصـدر النظام البيئـي الألفـي (MA)، بتركيز مكثف علـى البيئة، للأمم المتحـدة تقريـره الأخير في عـام 2005[6]. وعلى الرغـم من أن الإصـدار يؤكد على التقييم إلا أنه يشمل أيضاً سيناريوهات مستقبلية تتوافق بقوة مع تلك التابعة لعمليات IPCC وGEO-4 وهي تحديداً:

- المزاوجـة العالميـة، مكونة من كون عولمـي وآخر مهتم بقضايـا البيئة والعدالة واهتمام بالتنمية البشرية.
- الترتيـب من القوة، تنوع آخر مـن سيناريوهات العالم المحصـن أو الأمن أولاً والمذكورة سابقاً.
- تبني التنوع، تنمية محلية تناسبية مع المحيط، مداخل حساسة بيئياً.
- الحديقـة التقنيـة، التواصـل العالمي مع التركيـز التقني علـى مباشرة معقدة للإدارة البيئية ووفرة قوية لخدمات النظام البيئي.

وفي المضمـار الاجتماعـي ـ السياسي تميل السيناريوهـات إلى وجود عدة عناصر ذات طابـع بيئي من المذكورة أعلاه، ولكن تؤكد أكـثر على التنوع/ الغموض في أدوار اللاعبـين المحتملين الرئيسين. بدأت وكالـة Hart-Rudman واسمها الرسمي، وكالة الولايـات المتحدة الأمريكية للأمن القومي/ القـرن الحادي والعشرين (1999م) في عـام 1998 بوضع تقارير للحصول على ما وصف بأنـه «أكثر قراءة مفهومة وبرعاية

الحكومة للأمن القومي الأمريكي لأكثر من خمسين سنة». وعلى الرغم من أن معظم تقرير الوكالة ينظر إلى قضايا محددة ومناطق جغرافية معينة، يرى أن المستقبل مجموعة متماثلة من العناصر إلا أنه يختم مرحلته الأولى من التقرير عن العالم القادم بشرح مختصر لأربعة سيناريوهات:

- سلام ديمقراطي، تسيطر النظم الديموقراطية، ليس هناك صراع أيديولوجي حاد، ومستوى التعاون السياسي بين الدول مرتفع، وبني السيناريو على افتراض نمو اقتصادي متوسط وثورة معلوماتية مستمرة، ولكن أيضاً يظهر عدم المساواة العالمية والتحديات الأخرى.

- الحماية والوطنية، تؤدي الكوارث الاقتصادية العالمية أو العوامل الأخرى إلى بروز الوطنية ومجموع القوى المناطقية، ويعاني العالم الثالث من الانخفاض الاقتصادي في مواجهة الهبوط التجاري والتدفق المالي، وتوجه الوطنية، والعرقية، والأصولية بعض السياسات وحتى الحكومات.

- انتصار العولمة، يسمح التطور السريع في التقنية والنمو العالمي الاقتصادي للدول النامية ببناء اقتصاديات أكبر من الموجودة في الدول المتطورة وهناك التزام واسع بدخل عادل وتنمية لرأس المال البشري ولحلول سلام وسياسات بيئية مستمرة.

- التقسيم والإضرار، قد يؤدي ظهور انتشار التقنيات الخطرة وثورة عمليات العولمة، والكوارث البيئية إلى تكون مثل هذا العالم. وتسقط العالمية، مع وجود قيود على التجارة، والتدفق المالي والمعلوماتي. وتنقسم عدة دول عرقياً أو ثقافياً أو دينياً. وأعاد الهجوم الإرهابي على المدن الأمريكية توجيه السياسة الأمريكية إلى منع حدوث هجوم آخر وبعيداً عن الارتباطات العالمية الواسعة ممهداً بذلك لانحدار حلزوني.

وأيضاً بدخولنا الحلبة الاجتماعية ـ السياسية فإن وحدة الدراسات للمفوضية الأوربية (1999) تضع أيضاً خمسة مستقبلات ممكنة مع التركيز على أوروبا، ولا

تشمل هذه الدراسات الأسواق الناجحة (انتصار آخر لسيناريو العولمة)، وحركة المئة زهرة في الصين ليعبر الشعب عن رأيه Hundred Flowers (عولمة أقل نجاحاً ومتباينة مع زيادة عدم الرضا والخلافات)، المسؤوليات المشتركة (نجاح النموذج الأوربي في القارة عموماً) المجتمعات الخلاقة (انخفض الأثر الحكومي في أوربا مؤدياً في النهاية إلى حكومة خلاقة ومجتمع متجدد)، جوار مشاغب (حروب عرقية، وإرهاب، والجريمة حول العالم)، ويمكن للقارئ أن يرى التشابه مع سيناريوهات Hart - Rudman[7].

ومرة أخرى في المضمار الاجتماعي ـ السياسي وضع مجلس الاستخبارات الوطني للولايات المتحدة الأمريكية (NIC) والمسؤول عن تزويد حكومة الولايات المتحدة بتفكير إستراتيجي مدمج، تقريراً عن Global Trends 2010 (الاتجاهات العالمية 2010 (1997)، وتقريراً آخر عن 2000 (Global Trends 2015)، وثالثاً في مشروعه لعام 2020 وسماه مسح المستقبل العالمي (2004) Mapping the Global Future. حدد التقرير الثاني التوزيع السكاني، والمصادر الطبيعية، والبيئة، والعالم، والتقنية والاقتصاد العالمي، والعولمة، والحكومة الوطنية والدولية، والصراع المستقبلي، ودور الولايات المتحدة بوصفها محركاً رئيساً، وينظر تقرير مشروع 2020 إلى هذه القضايا مرة أخرى ولكن يركز على العولمة بصفتها محركاً مضاعفًا، كانت سيناريوهات المشروع كما يأتي:

- عالم دافوس Davos ، يرتكز على العولمة ومتفائل في معظمه، ولا يغفل أن يحدد بعض الضغوط مثل عدم المساواة.
- سيطرة الولايات المتحدة Pax Americana. قيادة عالمية للتقنية وقيادة عالمية أكبر، وعلى وجه العموم هو سيناريو متفائل.
- الخلافة الجديدة، عالم يغلب عليه التفاؤل، بروز قائد ساحر في الشرق الأوسط والإسلام ممهداً لاضطراب نظام مهم.
- دائرة الخوف، سيؤدي عدم الأمان العالمي المتجذر في الضغط الاقتصادي، بالإضافة إلى الإرهاب وأنواع العنف الأخرى إلى تقسيم العالم بدلاً من التعاون.

ومجموعة سيناريوهات NIC تتشابه كثيراً مع السيناريوهات الأخرى التي ذكرت سابقاً، وعلى الرغم من أن سيناريو الخلافة الجديدة له سمة الغموض ويؤكد على القضايا الثقافية بطريقة مختلفة عن المجموعات الأخرى. واستخدم نموذج المستقبل العالمي (IFs) لدعم مشروع 2020 ومقاييس سيناريوهاته.

السيناريوهات المدمجة: العناصر المشتركة

تميل عائلات السيناريو في الدراسة أعلاه إلى تحديد مجموعات متشابهة من الغموض الرئيس في رسمهم لسيناريوهاتهم وتتطابق بأشكال مهمة، وتظهر بعض أبعاد الغموض من تحليل لآخر وإلى حد كبير فإنه يمكن تصنيفهم باستخدام دراسة رموز السيناريو والذي بدأ برسم خطوطه الفصل الرابع.

1- صياغة السيناريوهات الرئيسة:

- سرعة سير التغير التقني و/ أو النمو الاقتصادي، تظهر جميع مجموعات السيناريو تفاوتاً داخلياً مع وجود واحد أو كل المحركات الرئيسة، وهذا قريب لمجموعة عالمية لصياغة الافتراضات، والحقيقة غير مفاجئة ـ فعلماء المستقبل المختلفون مثل Mark وKahn Toeffler تأثروا دائماً بالتوجه التقني والاقتصادي وبالتجربة، ومن الصعب إيجاد متغيرات اجتماعية ـ سياسية أو بيئة ليست مرتبطة ومدفوعة بحصة الفرد من GDP.
- الغموض البيئي، وتكثر صياغة الافتراضات والتي تأخذ بقوة أو هشاشة البيئة في التحليلات طويلة المدى ولكنها تكون عادة ضمنية أكثر من تحليلات التقنية أو النمو. ويمكن رؤيتها بوضوح في سيناريوهات IPCC وأيضاً في مجموعة سيناريو العالم وفي مجلس عمل العالم للتنمية المستمرة، وتركز كثيراً سيناريوهات IPCC على الكثافة المادية للاقتصاد وسمة نظام الطاقة.

2- السلوك العالمي، الدولي، الإقليمي: العولمة والثقافة:

- مستوى العولمة (ويمكن القول بالاختلافات الثقافية)، مثلما هي الحال مع التغير التقني والنمو الاقتصادي فإن جميع مجموع السيناريوهات، القريبة

منهمـا، تضع افتراضات مختلفة عـبر السيناريوهات مـع الأخذ في الحسبان لمـدى العولمـة، وتنظـر مجموعة صغـيرة أيضـاً إلى دور الاختلافـات الثقافية المناطقية مثل مقارنة 1999 (la Friedman) في The Lexus and the Olive Tree. وتحتوي مجموعة سيناريو تقييم النظام البيئي الألفي على أوضح فصل بين التأليف العالمي السابق واللاحق مع التنوع المتكيف.

- التعاون الدولي أو انعدام التعاون، تقدم العديد من مجموعات السيناريو تفاوتاً في سلـوك الولايات المتحـدة، وأوروبـا، والصين، وفي بعض الأحيان لاعبين/ آخرين في حدود سياسة فردية أو متعددة الأطراف.

- توزيع الدخل، أبعاد التفاوت الأساسي في السيناريوهات شائع جداً بين المجموعات والاهتمام الموزع رئيس بين الـدول، ويمكن أيضاً أن يكون داخل الدولة الواحدة ويعامـل في العديـد من التحاليـل بوصفها امتـدادًا منطقيـاً للافتراضات عن العولمـة (تنشئ عادة العولمة توزيعاً غير عادل أو تثري تقارب السعر للمستويات الاقتصادية، ويعتمد ذلك على الفهم المنظمي لمنشأ السيناريو).

- الوطنية وغيرها من الصفات، تنظر بعض السيناريوهات السياسية العالمية إلى عمـق الشعور الوطني، ومقدار التدين، أو الهويـات الأخرى أو الأيديولوجيات، ويمكـن أن يكون ذلك جزءاً مـن العولمة/ مجموعة السيناريـو الإقليمي، ولكن يمكن أن يكون أيضاً منفصلاً.

3- سلوك الدولة، الإقليمي، العالمي: الأبعاد الأخرى.

- قوالـب السكان، تعرف عـادة مجموعات السيناريوهات المهتمـة بالبيئة بدائل المستقبـل السـكاني، وأصبح هناك تقـارب أساسي في الافتراضـات، ومن ثم التوقعات عبر التحاليل السكانية.

- نجـاح الحكومة، يكون نجاح أو نوعية الحكومة في بعض السيناريوهات متغيراً وفي بعض التحاليل يتفاوت حجم الحكومة.

- ترتيب القوة العالمية، تنظر بعض السيناريوهات إلى السياسات العالمية مفرقة بوضوح توزيعات قوة المستقبل الممكنة.

4- سلوك القوة:

- معظم مجموعات السيناريو المدمجة لا يوجد بها العديد من افتراضات عوامل حاسوبية مساندة معينة. وهذا لسوء الحظ؛ لأن معظم الاهتمام بسلوك العوامل حاسوبية ذات علاقة قوية بتحليل السياسية حول قضايا محددة، وبما أن تطوير السيناريو المدمج أصبح بازدياد يدمج مع تحليلات السياسة وسوف يكون، فإن الاهتمام بعوامل حاسوبية سيصبح أكثر شيوعاً في إنشاء السيناريوهات المدمجة وفي استقراء الدافعية فيهم.

5- غير متوقع:

تمتد بعض السيناريوهات لميزتها المحورية إلى أحداث غير متوقعة ولكن ممكنة نظرياً، من الأوبئة إلى تصادم النيازك بالأرض إلى ثورات تقنية معينة، وباختصار ومناسبة فإن غير المتوقع «موجود في كل مكان».

يقوي عموماً هذا التحليل السريع لمجموعات السيناريو المدمجة منهجية شجرة السيناريو في برنامج IFs (انظر مرة أخرى إلى الفصل الرابع لقراءة مقدمة موضوعه) وأهمية تعليمات عناصر السيناريوهات الجاهزة الموجودة للتحميل إلى شجرة السيناريو. كما هي الحال من التحقق من السيناريوهات المعدة سابقاً أو عناصر السيناريو من التعليمات، ويمكن لمستخدم السيناريو أن يخزن السيناريو المنشأ مع الشجرة إلى التعليمات للاستخدام المستقبلي.

يوضح الشكل 1 - 12 (باستخدام متصفح الويندوز) أعلى مستوى من التفاصيل في بنية سيناريو التوجيه لبرنامج IFs ولاحظ أن التعليمات والتعليمات الفرعية تتوافقان تقريباً مع تصنيفات شجرة السيناريو، وتكونان أكثر قرباً لمكونات السيناريوهات التي ناقشناها في هذا الفصل والفصول السابقة: صياغة مكونات حول التقنية والبيئة، والعوارض في مستوى سلوك القوة للشركات والحكومات والمنازل الأسرية، والمفاجآت وغير المتوقع، وفهم الروابط العرضية الرئيسة.

بالإضافة إلى أن سيناريو تعليمات يدعى مجموعة سيناريو العالم المدمج يشمل تعليمات ثانوية مع مجموعات سيناريو من عدة مشاريع نوقشت سابقاً في هذا الفصل بما في ذلك IPCC وUNEP GEO مشروع 2020. على سبيل المثال، يظهر النقر على UNEP GEO ملفات سيناريو يدعى الأسواق أولاً، السياسة أولاً، والأمن أولاً، والاستقرار أولاً، تحتوي هذه الملفات على تحديدات لشجرة السيناريو والتي توازي السيناريوهات الأربع المطورة من مجموعة سيناريو العالم وعملية UNEP GEO [8] وإذا تم اختيار ملف الأسواق أولاً وفتح، فإنه سيملأ شجرة السيناريو بمجموعة مناسبة من المحركات. ثم اختر اشرح السيناريو من سيناريو على قائمة الشجرة لشرح شفهي للسيناريو.

وخذ خطوة أخرى للأمام، يمكن لتحديدات السيناريو في توجيهات IFs أن تضيف لبعضها بعضاً، لذلك فبعد تحميل سيناريو الأسواق أولاً المصاغ فمن الممكن الانتقال إلى التوجيه السكاني تحت عالمية مناطقية وسلوك دولة لإضافة سيناريو سكان عالمي خصب وعال، واذهب إلى ملف AIDS تحت مفاجآت ومواضيع مختلفة سترجع مجموعة من الافتراضات عن معلومات أوسع عن وباء AIDS/HIV هذه المجموعات الاعتباطية هي لمواضيع غير مثيرة ولكن المستخدمين المختلفين سوف يتعرفون على مجموعات مفيدة مختلفة لتحليلهم.

بناء مستقبل عن طريق اتخاذ القرارات

يمثل إصرار المشاركين في مؤتمر ريو عام 1999 التفكير المحاكي لقضايا التنمية البيئية والاجتماعية ــ الاقتصادية الاعتراف المعاصر بأن كل القضايا الموجودة على قائمة أعمال العالم مترابطة، وفي الفصول السابقة فصلنا الاهتمام بقضايا تركز على التنمية البشرية والاستقرار من قضايا النمو والمساواة وأيضاً الأمة والسلام.

والآن جاء الوقت الذي تتأمل فيه التداخل الجوهري لهذه القضايا، وأن تسأل نفسك عن الصياغة المفهومة للمستقبل الذي تتوقعه وتأمل أن تراه يتحقق في العقود القليلة القادمة، وهذا الكتاب، كما أشار في مقدمته، يتركك مع تمرين وليس مع رؤية.

← خذ وقتاً لتضع خطوط قصة ـ لتنشأ سيناريو ـ للعالم الذي تود أن تراه بعد خمسين سنة (إذا كنت طالباً جامعياً فإن هذا الوقت سيستولي على جميع مدة حياتك العملية). إلى أين تعتقد أن التغيرات تقودنا؟ ما هو المستقبل الذي تريد أن تراه؟ وهذا يعني ما الشيء الذي يهمك؟ وما أهدافك مع الأخذ في الحسبان هذا الاهتمام؟ كيف تضع الأمن، والسلام والنمو، والمساواة والتقدم والاستقرار، والقيم الأخرى التي تتمسك بها؟ ما الدافعية التي لدى الإنسانية لإيجاد المستقبل الذي يريده؟ ما الخطوات المحددة التي يجب أن تؤخذ؟ وما ثمن اتخاذ هذه الخطوات؟.

← اقتصادياً، هل تتوقع وترغب في قوة التجارة الحرة والتدفق المالي، واستقرار في هذه الاتصالات، أو تحرك العالم إلى اكتفاء ذاتي أكبر في الدول والمناطق؟ وبشكل آخر، هل سيكون العالم أفضل إذا قويت عولمة التجارة والتدفق المالي أو أن الأفضل العكس؟ بالنسبة إلى البيئة، هل ترى ازدياداً في التدمير البيئي أم أن التقنية وأسلوب المعيشة قادران على إصلاح المشكلات البيئية المتعددة؟ هل ترى ضرورة وجود نظام بيئي عالمي أساسي، مداخل دولة ـ محددة، خطوات أساسية، رعاية للتقدم التقني؟ ما الاحتمال؟ وماذا تتوقع أن يكون العد التقريبي لسكان العالم؟ هل سيكون الغذاء والطاقة كافيين، أم سترتفع الأسعار عالياً وينقطع التموين الغذائي؟ هل ستتحقق أهداف الألفية للتنمية. وما الخطوات التي تود أن تراها تؤخذ لتسهيل تحقيق هذه الأهداف؟.

يمكنك استخدام المحاكاة الموجودة في برنامج IFs لمساعدتك على تطبيق التمرين في هذا الفصل، وهناك الكثير الذي لا يحتويه نظام المحاكاة وسيتطلب ذلك منك أن تستفيض في سيناريوك أبعد من برنامج IFs وأن تستخدم النموذج بإبداع، وعلى سبيل المثال، النموذج لا يسمح لك بإدخال مؤسسات عالمية أو مناطقية خاصة بالأمن، أو الاقتصاد، أو البيئة، ولا يعرض بوضوح الإقصاء . أو حتى السلوك الغذائي لمجموعات الهوية والتي تبنى أحياناً على العنصر أو العرق، أو الدين، وهو موضوع نقاش كأقوى قوة محطمة عالمية معاصرة.

ويسمح لك برنامج IFs، كما رأينا في الفصول السابقة وهذا الفصل، بإدخال نطاق واسع من الافتراضات والعوارض؛ لكي ندرس العالم كوحدة مندمجة عبر تقسيماته السكانية العديدة وأنظمته المتفاوتة البشرية والمادية، وقد تحتاج إلى أن تعود إلى الفصل الخامس وحتى الحادي عشر لتسترجع القضايا التي عرضت.

والنقطة التي نبدأ منها التمرين من الأرجح أن تكون إلى أين تظن أن العالم يتجه؟ فكر في الاختلافات بين الافتراض الأساسي وتوقعاتك، ارسم سيناريو باستخدام IFs يوضح «افتراضك الأفضل» الآن مع الاهتمام للتطورات التي ستحدث في الخمسين سنة القادمة، وهذا يعني أنك قد تحتاج إلى أن تنشأ افتراضك الأساسي الخاص بك ثم قيم قيمك أنت. ما هي سمات العالم في الخمسين عاماً التي تحمل أهمية كبيرة لك؟ ما مخرجات المتغيرات التي تريد أن توليها اهتمامك ؟ والخطوة اللاحقة أن تبدأ بالتفكير في نقاط الدافعية لديك.

إحدى الطرق لأداء التمرين أن تضع افتراضك الأساسي وتتبعه بسيناريوهين متطرفين ــ الأكثر تفاؤلاً والأكثر تشاؤماً عن المستقبل الذي تعتقد أن له مصداقية، فتحدد بوضوح التغيرات والتفاوت في الفهم العرضي الذي يفرق بين السيناريوهين، يجب أن يساعدك السيناريو المتفائل في تحديد الخطوات التي قد توصي بها، وقد يساعدك السيناريو المتشائم على معرفة تلك التي يجب عليك تجنبها، وإذا كنت حذراً في هذه العملية فقد تجد خلال إنشائك سيناريوك المتفائل، أن بعض العوارض حصلت على نتائج إيجابية في جانب من النموذج ولكن لها نتائج سلبية في جانب آخر. فكر في المبادلات وتكلفة العوارض.

لا يمكنك صياغة العالم الذي تريده، سواء مستقبلك الشخصي أو العالم من حولك، إلا إذا تصورته أولاً وبدأت برسم طريق إليه والقرار في ظل الغموض ليس سهلاً، نحن نأمل فقط بتعريف قيمنا، وتحديد نقاط الدافعية المهمة ومن ثم أخذ قرارات تكون الأقرب لتحقيق أهدافنا، وليس هناك سبيل لتجنب التحدي: لدينا مستقبل لنصوغه.

ملاحظات

1- كتاب عن الطاقة (The International Energy Agency) IEA, 2003 إلى عام 2050 يفحص العديد من جهود السيناريو المدمج، وخاصة تلك التي ترتبط بمفترق طرق الطاقة ـ البيئة. وبالمثل توفر دراسةHart-Rudman نقداً جيداً جداً لأكثر تحليل سيناريو مدمج إلى وقت طباعته، وبخاصة تلك التي بها تركيز على المستقبل الاجتماعي ـ السياسي.

2- تقيم دراسة مفيدة قام بها المركز العالمي للدراسات المتكاملة (ICIS, 2000) للوكالة الأوربية للبيئة لتحليل السيناريو والنمذجة المطبقه له، وتحدث هذه الدراسة جهوداً قام بها Dale S. Rothman مع التركيز على سيناريوهات البيئية.

3- انظر http://www.ipcc.ch; يناير 16, 2004.

4- انظر http://www.gsg.org يناير 16, 2004.

5- انظر http://www.seib.org/polestar/project.html يناير 16, 2004.

6- يزودنا مجلس العمل العالمي للتنمية المستمرة (1997، 1999 و2000 بسيناريوهات مدمجة إضافية مع تركيز بيئي. انظر إلى 185، (2003 - 179 IEA).

7- طور مشروع الألفية بجامعة الأمم المتحدة العديد من السيناريوهات بما في ذلك (ACUNU 1998 كما وصف في 186 :IEA, 2003 190-) وCybertopia.

(تجارة حرة، عولمة، وتقنية قوية) و Rich Get Richer (انعدام المساواة عالمياً والمشكلات البيئية)، Passive Mean World (حواجز في وجه التجارة والاتصالات الأخرى) وTrading Places (تتقدم دول مثل الصين للأمام).

8- ويحتوي ملف آخر في كتيب سيناريو العالم المدمج على سيناريو استقرار على مدى طويل من مشروع TERRA (Hughes and Johnson, 2005) وأيضاً مجموعة من مكوناته.